يُحِبُّ الصَّدَقَةَ ولا يُرِدُّ سَائلاً!!

الدكتور محمد عمر الحاجي

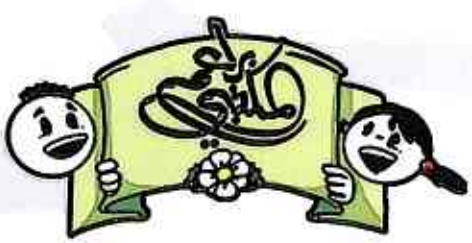

الطبعة الأولى

2017 - 1438

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزءٍ منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الإلكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي.

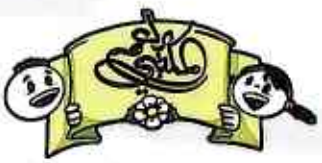

دمشق - الشارقة - القاهرة

دمشق هاتف 00963112248433 فاكس 00963112248432 ص.ب 31426

الشارقة هاتف 0097165512262 فاكس 0097165512264 ص.ب 3309

e-mail:daralbaraem@gmail.com almaktabi@gmail.com

www.almaktabi.com

فقَضَىٰ بِهِ للصُّغْرَىٰ!!

وهَذِهِ حِكَايَةٌ مِنَ الحِكَايَاتِ المفيدَةِ ، فِيها من الدُّرُوسِ والعِظَاتِ الشَّيءُ الكَثِيرُ ، حَيْثُ الرَّحْمَةُ.. بَلْ يُنْبُوعُ الرَّحْمَةِ الّذي يتدفّقُ مِنْ قَلْبِ الأُمِّ..:

في صَحِيحِ الإِمَامِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «بَيْنَما امرأتَانِ مَعَهُمَا ابْنَاهُمَا ، جَاءَ الذِّئْبُ فَذَهَبَ بابنِ إِحْدَاهُمَا ـ أَيْ انقضَّ عَلَىٰ أَحَدِ الوَلديْنِ فأخذَهُ وهَرَب!

فقالَتْ هَذِهِ لصَاحِبَتِها: إِنَّما ذَهَبَ بابنِكِ.

وقالت الأخرى: إِنَّما ذَهَبَ بابنكِ.

فتحاكَمَتا إِلَىٰ نَبيِّ اللهِ دَاودَ عَلَيْهِ السَّلامُ ، فَقَضَىٰ بِهِ للكُبْرىٰ.

فَخَرَجَتا إِلَىٰ سُلَيْمَانَ بنِ دَاودَ عليهِمَا السَّلاَمُ ،

فأَخْبرتَاهُ بِمَا جَرَىٰ مَعَهُما عِنْدَ أَبيهِ دَاودَ عَلَيهِ السَّلامُ.

فقالَ: سُلَيْمَانُ: اِئْتُوني بالسِّكينِ أشقُّهُ بَيْنَكُما!

فَقَالَتِ الصُّغْرَىٰ: لا ، يَرْحَمُكَ اللهُ ، هُوَ ابْنُها.

فَقَضَىٰ بِهِ للصُّغْرَىٰ». مسلم: [١٧٢٠].

واقْتَلَعَتْ عَمُودَ خَيمَتها!!

وَهَذِهِ حِكَايَةٌ مُفِيدَةٌ ، فِيْها مِنَ العِبَرِ والدُّروسِ الشَّيءُ الكَثيرُ ، حَيْثُ الأَدِلّةُ الدَّامِغَةُ عَلَىٰ البُطُولاتِ الفَريدةِ ، والشَّجَاعَةِ الرَّهيبَةِ ، الّتي تحلَّتْ بِهَا بَعْضُ النِّساءِ التَّابعياتِ رَحِمَهنَّ اللهُ تَعَالىٰ.

وهَذِهِ الحِكَايَةُ الرَّائِعَةُ أَوْرَدَهَا الحَافِظُ ابنُ حَجَر العَسْقَلاني رَحِمه اللهُ وغيرُهُ:

قُبيلَ مَعْرَكَةِ (مَرْج الصُّفَّر) التي وَقَعَتْ بالقُرْبِ مِنَ مَدينَةِ دِمَشْقَ عند قرية تسمى (شقحب) جنوب غربي دمشق ، بَيْنَ المُسْلمينَ والرُّومِ ، خَطَبَ خَالدُ بنُ

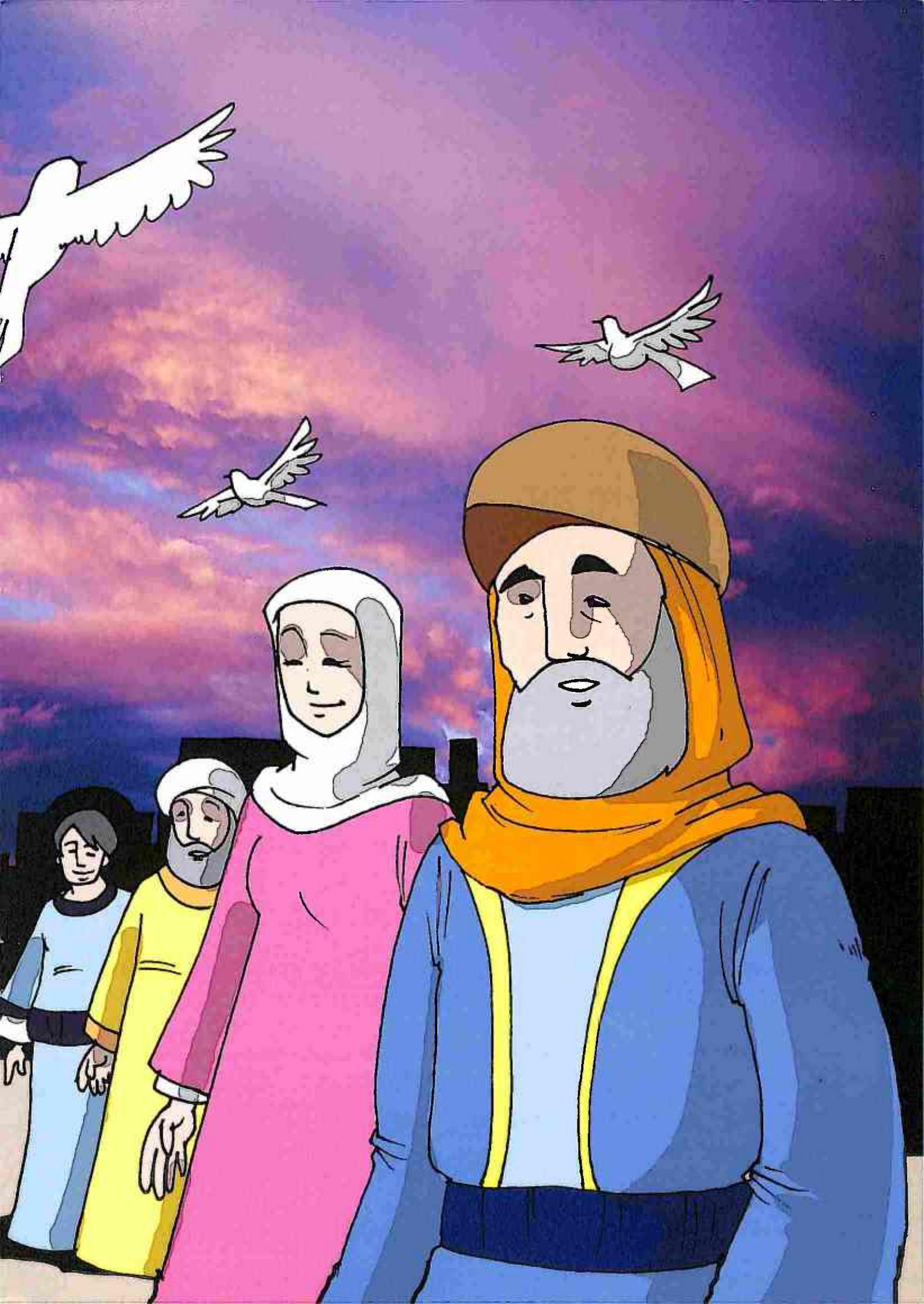

سَعيدِ بنِ العَاصِ رَحِمَهُ اللهُ أُمَّ حَكيم بِنت الحَارِثِ ، وعَقَدَ عَلَيْهَا.

وَلمّا أَرَادَ أَنْ يُعَرَّسَ عَلَيْهَا ـ أَيْ: يَتَزَوجَهَا ـ قَالَتْ: يَا خَالِدُ! حَبَّذَا لو أَخَّرْتَ إِلَىٰ أَنْ يَنْفضَّ النَّاسُ مِنْ هذه المَعْرَكَةِ الّتي أُرَانَا مُقْدِمِيْنَ عَلَيْها!

فَقَالَ لَهَا خَالِدُ: إِنَّ نَفْسِي تُحدثني بَأَنّي سَأُصَابُ فِيْها.

ووافَقتْ أُمُّ حَكيمٍ علىٰ الزَّوَاجِ ، وأُقيمَ العُرْسُ ، وبنى خَالِدٌ بِهَا...

وَفِي صَبَاحِ اليَوْمِ الَّذي تَلا لَيْلَةَ الزَّفَافِ أَوْلَم ـ أَيْ: صَنَعَ وَليمةَ العُرْسِ ـ لأَصْحَابِهِ ، فَمَا كَادُوا يَفْرغُونَ مِنْ طَعَامِهِم حَتَّىٰ صفَّتِ الرُّومُ جُنُودَهَا ـ أَيْ: بَدَأَتِ المَعْرَكَةُ ـ وخَرَجَ وَاحِدٌ مِنْ فُرسَانِ الرُّوْمِ يَطْلُبُ مُبَارِزَاً.

فَبرزَ لَهُ حَبِيبُ بنُ سَلَمةَ ، وقَتَلَهُ.

ثُمَّ خَرَجَ فَارِسٌ آخَرُ وطَلَبَ مُبارِزَاً ، فبرزَ لَهُ

خَالدُ بنُ سَعيدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وتَصَاولَ الفَارِسَانِ وتَجَاولا ، ثُمَّ سَدَّد كُلٌّ مِنْهَما لصَاحِبِهِ ضَرْبةً قَاتِلةً ، فَأَصَابَ سَيْفُ الرُّوميِّ ، وأَخْطَأ سَيْفُ خَالِدٍ فَخَرّ صَرِيعاً شَهِيداً.

ولمّا وَصَلَ خَبَرُ اسْتِشهادِ خالدِ بنِ سَعيدٍ إِلَىٰ عَرُوسِهِ أُمِّ حَكيمٍ هَبَّتْ مُنْتَفِضَةً وشدَّتْ عَلَيها ثِيابَ عُرْسِها ، واقتلَعَتْ عَمُودَ الفِسْطَاطِ ـ أَيْ: الخَيْمةِ ـ وانطلقَتْ باتجاهِ الرُّومِ ، وخاضَتْ المَعْرَكَةَ مَعَ الخائِضينَ ، وأبْلَتْ بَلاءً حَسَناً ، حَتَّىٰ قِيْلَ: إِنَّها قَتَلَتْ بالعَمُودِ سَبْعةً مِنْ فُرْسَانِ الرُّوم!

ثُمَّ ظلّتْ تُقَاتِلُ حَتَّىٰ انْتَهتِ المَعْرَكَةُ ، وكتَبَ اللهُ النَّصْرَ للمُسْلمينَ.

وكانَ ثَمَنُ النَّصْرِ أَرْوَاحاً غَاليةً مَضَتْ إِلَىٰ رَبِّها رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً ، كَيْفَ لا ؟

وقَدْ قَدَّمَ أُولئِكم الكَوْكَبَةُ ثَمَنَ الجنَّةِ؟

كما أَخْبرَ النَّبيُّ ﷺ: «أَلا إنَّ سِلْعَةَ اللهِ غَاليةٌ ، أَلا

وَإِنَّ سِلْعَةَ اللهِ الجنَّةُ ، أَلاَ وَإِنَّ ثَمَنَ الجنَّةِ هُوَ الّذي قَالَ اللهُ عَنْهُ: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ١١١] وكانَتْ رَوحُ خَالِد بنِ سَعيدٍ تُرَفْرِفُ فِيْها في سُرُورٍ ، ولَقدْ رَأَىٰ قَاتِلُهُ بِأُمِّ عَيْنيهِ نُوراً يَسْطَعُ في كَبِدِ السَّمَاءِ ، ثُمَّ يَتلأْلأُ فَوْقَ خَالدٍ وبَيْنَ يَدَيْهِ ، فَنَدِمَ عَلَىٰ قَتْلِهِ أَشَدَّ النَّدمِ ، وكَانَ ذَلِكَ سَبَباً في دُخُولِهِ الدّينَ الحَنيفَ مَعَ الدَّاخِلِيْنَ!!

يُحبُّ الصَّدقَةَ.. ولا يردُّ سَائلاً!!

وهَذِهِ حِكَايَةٌ رَائِعَةٌ تَدُلُّ عَلَىٰ حُبِّ الرّعيلِ الأَوّلِ ـ رِجَالاً ونِسَاءً ـ للتصدُّقِ في سَبيلِ اللهِ ، حَتَّى لَوْ كَانَ ذَلِكَ عَلَىٰ حِسَابِ قُوْتِهم وقوتِ عِيَالِهم. وهِيَ مِنْ

مَرْوِياتِ الإِمَامِ الذَّهَبيِّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ:

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ زَيْدِ بنِ جَابِرٍ رَحِمَهُم اللهُ قَالَ: حَدَّثَتْنِي مَوْلاةُ أَبي أُمَامَةَ قَالَتْ: كَانَ أَبُو أُمَامَةَ يُحِبُّ الصَّدَقَةَ ويَجْمَعُ لَهَا ، ولا يَردُّ سَائِلاً ولَوْ بَيْضَةً ، وَلَوْ بتمرةٍ ، أَو بِشَيءٍ مِمّا يُؤكَلُ.

وذَاتَ يَوْمٍ أَتَاهُ سَائِلٌ وَقَدْ أَقْفَرَ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ ـ أَيْ خَلا مِنْ ذَلِكَ ـ ومَا عِنْدَهُ إِلا ثَلاثَةُ دَنَانِيرَ!

فَسَأَلَهُ فَأَعْطَاهُ دِيْنَاراً ، ثُمَّ أَتَاهُ سَائِلٌ فَأَعْطَاهُ دِيْنَارَاً ، ثُمَّ أَتَاهُ سَائِلٌ فَأَعْطَاهُ دِينَارَاً!

قَالَتْ: فَغضِبْتُ وقُلْتُ: لَمْ تَتْرك لَنَا شَيْئَاً!!

قَالَتْ: ثم وضَعَ رَأْسَهُ للقَائِلةِ ـ أَيْ: نَامَ نَوْمَ القَيْلُولَةِ ـ وهُوَ الّذي يَنَامُهُ بَعْضُ النَّاسِ بعد الضُّحَىٰ ـ.

قَالَتْ: ولمّا نُودِيَ للظُّهْرِ أَيْقَظْتُهُ فَتوضَّأَ ثُمَّ رَاحَ إِلَىٰ مَسْجِدِهِ...

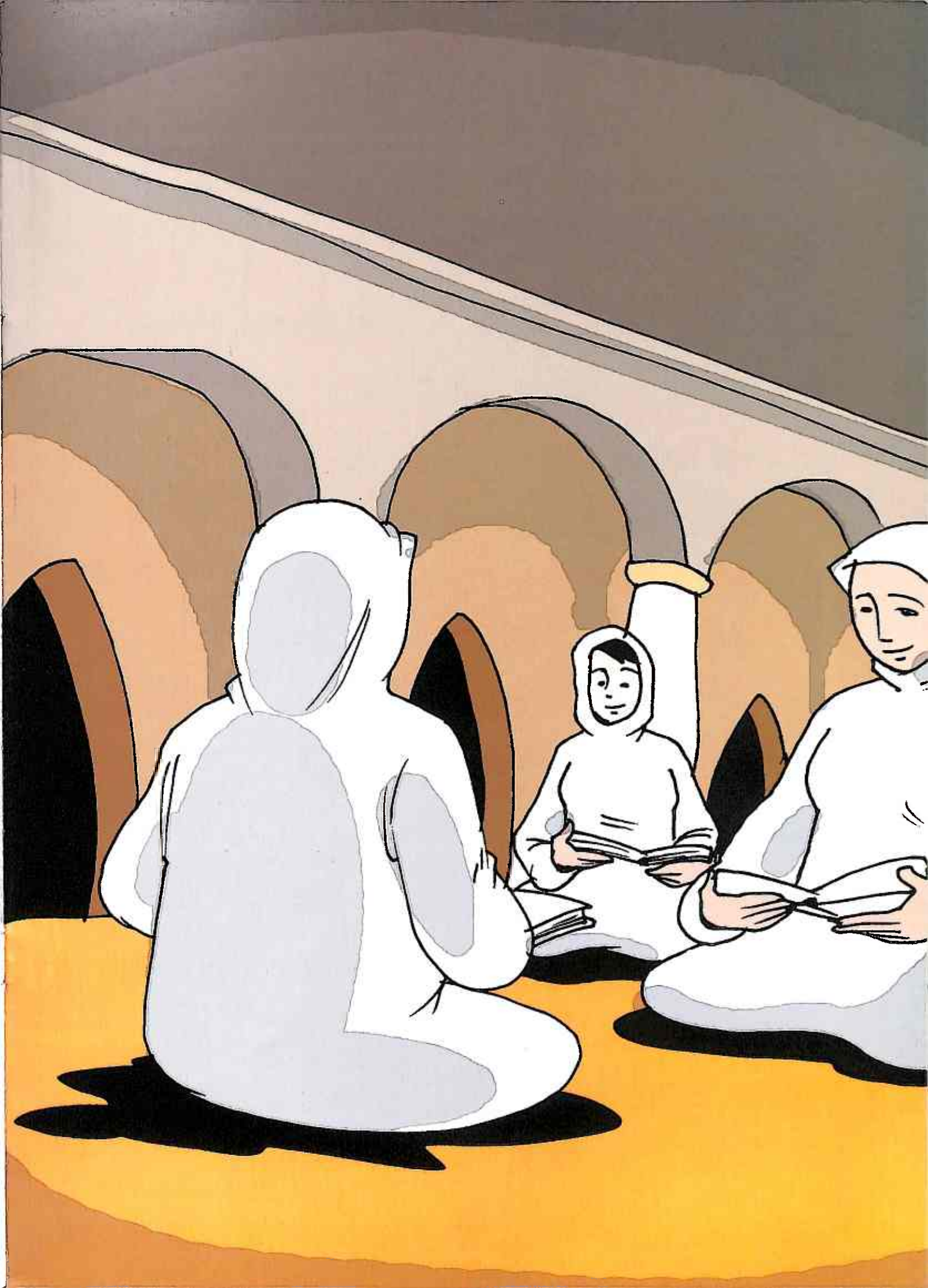

فَرَقَقْتُ عَلَيْهِ وكَانَ صَائِماً ، فاقْتَرضْتُ ما جَعَلْتُ لَهُ عَشَاءً ، وأسَرَجْتُ لَهُ سِرَاجَاً ، وجئْتُ إِلَىٰ فِرَاشه لأمهِّدَ لَهُ فِإذَا بَذَهَبٍ كثيرٍ!

قَالَتْ: فَعَدَدْتُ الذَّهَبَ فَإِذَا هُوَ ثلاثمئة دِيْنَارٍ ذَهَبيٍّ.

فقلْتُ في نَفْسِي: مَا صَنعَ الّذي صَنَعَ إلاّ وقد وثِقَ بَمَا خَلَفَ ـ أَيْ: ما تبرَّعَ الرَّجُلَ بِثَلاثةِ دَنَانِيرَ إلا وهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ سَيُعَوِّضُهُ بَدَلاً عَنْها أَضْعَافاً مُضَاعَفَةً ، كما في قَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾

[البقرة: ٢٦١].

قَالَتْ: فأَقبَلَ بَعْدَ العِشَاءِ ، فَلمَّا رَأَىٰ المَائِدَةَ والسِّراجَ تبسَّمَ وقَالَ: هَذا خيرٌ مِنْ غَيْرِهِ.

قَالَتْ: فقمْتُ عَلَىٰ رَأْسِهِ حَتَّىٰ تَعشَّىٰ ، فَقُلْتُ: رَحِمَكَ اللهُ خلّفت هَذِهِ النَّفَقَةَ في سَبيلِ مُضيَّعة وَلَمْ تخْبرني فَأَرْفَعْها؟

قَالَ: وأَيُّ نَفَقَةٍ هَذِهِ؟ ما خلّفتُ شَيْئاً!

قَالَتْ: فَرَفَعْتُ الفِرَاشَ ، فَلمَّا رآهُ فَرِحَ واشْتَدَّ تَعجُّبُهُ.

قَالَتْ: فقمْتُ وأَعْلَنْتُ الشَّهادتينِ وأَسْلَمْتُ للهِ.

قَالَ ابنُ جَابِرٍ:

وبَعْدَ سَنَواتٍ مَضَتْ أَدْرَكْتُ المرْأَةَ في مَسْجِدِ حِمْصَ ، وهِيَ تُعلّمُ النِّسَاءَ القرآنَ الكَرِيمَ ، وسنَّةَ المُصْطَفَىٰ ﷺ ، والفَرَائِضَ ، وتَفقههنَّ في الدِّينِ:

﴿ فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۚ ﴾ [آل عمران: ١٩٥].

* * *